

| رحيك

## كريس ماركر مبدع «المقالة السينمائية»

مخرج، ومصوّر، وشاعر، وكاتب، وفيلسوف، وناقد.... جرّب وسائل تعبير مختلفة، فبقي خارج التصنيف. صاحب «السنسول» واكب أبرز المنعطفات السياسية والاجتماعية في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين، ورصدها بكاميرته جامعاً بين التأمل الذاتي والتوثيق

### يزن الأشقر

انطلق كريس ماركر (1921-2012) بهدوء المخرج والمصوّر والكاتب الفرنسي الشهير غادر عالمنا في يوم عيد ميلاده الـ 91. بات هذا مؤكداً. احتفظ بالسرية طوال حياته، فاستحق لقب «أشهر المخرجين المجهولين»! حتى صورته الشخصية نادرة. إذا طلب أحدهم صورته، كان يبعث له بصورة قطة، حيوانه المفضل. «تكفي أفلامي» كان يجيب عندما يُسأل عن حياته الشخصية. العودة إلى مسيرة ماركر تبعث على الدهشة. تنقل بين وسائل التعبير الفنية، وشكّل أسلوب «المقالة السينمائية» الذي يمزج بين الوثائقي والتأمل الذاتي، ماركرته المسجلة. رغم تنوع أعماله، رفض التصنيف. تنقل حول العالم، بينما

تنقلت أفلامه عبر الزمن. بدأ حياته طالب فلسفة في فرنسا، وكان أستاذه جان بول سارتر. لاحقاً، انضم إلى المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال النازي. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، عمل صحافياً في مجلة Esprit اليسارية، قبل أن ينتقل إلى مجلة «دفاتر السينما» التي خرجت من معطفها الموجة الجديدة. كتب في السينما وعمل صحافياً ومصوّرًا حول العالم. من الصورة الفوتوغرافية، جاء إلى الفن السابع فترك نحو 50 شريطاً وثائقياً. كانت البداية مع Olympia 52 عن دورة الألعاب الأولمبية في هلسنكي آنذاك. اهتمامه بالسينما ازداد مع تعرفه إلى أنيس فاردا والآن رينيه. مع صديقه الأخير، سينجز «التمثيل تموت أيضاً» (1953) الذي استكشف علاقة الكولونيالية بإهمال الفن الأفريقي ومُنع في فرنسا بسبب انتقاده سياساتها الاستعمارية.

أثناء وجوده في الصين عام 1955، أنجز وثائقياً قصيراً بعنوان «الأحد في بكين» الذي أسهم في تطوير أسلوب المقالة السينمائية، ولاحقه بـ «رسالة من سيبيريا» عام 1957 عن رحلته هناك في فرنسا والعالم. هذه المرحلة المبكرة في مسيرته، وصولاً إلى La Jetée، حددت الشكل السينمائي الذي استمر عليه لاحقاً. «السنسول» (1962) الذي أطلق اسمه عالمياً، فيلم خيالي قصير تتكوّن معظمه من صور فوتوغرافية ثابتة. بأسلوبه التجريبي الذي ألهم سينما الخيال العلمي الجديدة، روى ماركر سيناريو أبوكاليتي لعالم خارج من حرب عالمية ثالثة.

عام 1967، ومع علو الأصوات المناهضة للحرب في فيتنام، تعاون ماركر مع وجوه الموجة الجديدة، من بينهم غودار وفاردا ورينيه ولولوش، فكان «بعيداً عن فيتنام». الشريط بروباغندا سياسية أشبه

بتظاهرة سينمائية غاضبة ضد العدوان الأميركي. هذا التعاون أثمر مجموعة SLON التي كانت تهدف إلى إنتاج أفلام ملتزمة سياسياً. أحداث الـ 1968 في فرنسا والعالم تركت الأثر الأكبر في التزام المجموعة السياسي. ترك ماركر أعماله الخاصة، وأخرج أفلاماً عن الاضطرابات العمالية والتظاهرات. وفي 1977، أخرج وثائقياً طويلاً بعنوان «قلب



تناول «قلب الهواء أحمر» اليسار الفرنسي في الستينيات والسبعينيات



الهواء أحمر» عن صعود اليسار الفرنسي وسقوطه في الستينيات والسبعينيات. تنقل ماركر بكثرة حول العالم، وكانت النتيجة فيلمه الوثائقي «من دون شمس» الرّآخر بتأملاته حول الإنسان والطبيعة والذاكرة والزمن. في المرحلة الأخيرة، اهتم بالتكنولوجيا وحاول استكشاف وسائل رقمية أخرى أنتج من خلالها أعمالاً تقف بين السينما والوسائط المختلفة. مع ذلك، بقي اسمه مرتبطاً «بالمقالة السينمائية»، وبتعليقاته الصوتية المرافقة لأفلامه: «كل ما أملك لأعطيه، هو نفسي»، قال مرة تعليقاً على استخدامه الدائم لصيغة المتكلم في أفلامه. «اكتب لكم من بلاد بعيدة»، هكذا افتتح «رسالة من سيبيريا»، وهو ما كان يفعله في أفلامه، يخاطبنا من عالمه الشخصي، لكنّه يرينا العالم. مشاهدة أعماله تجربة مؤثرة تعنى بالذاكرة والزمن، وتاريخ المجتمعات.



### مرآة التحولات

كتب السينمائي اليوناني كوستا غرافاس والناقد السينمائي الفرنسي سيرج توبيانا عن كريس ماركر: «لاحقت أعماله النصف الثاني من القرن العشرين وانصهرت فيها، لكن مع اتخاذ مسافة من التحولات التاريخية التي شهدها العالم: كوبا، الشيوعية السوفياتية والصينية، حرب فيتنام، أيار 68 في فرنسا، تشيلي، النضالات العمالية، حركات التحرر والاستقلال». فيما وصفه الآن رينيه بأنه «نموذج رجل القرن الحادي والعشرين». كذلك، نقل ماكر كاميرته إلى زملائه المخرجين: في A.K عام 1985، وثّق أكيرو كوروساوا أثناء عمله على «ران» ويوم في حياة أندريه أرسينيفيتش (2000) وثّق أندريه تاركوفسكي أثناء تصويره «التضحية».

### قضية

## «مهرجان القاهرة»... معركة المصير المجهول

### القاهرة - محمد الخولي

تزايدت أخيراً المخاوف من إلغاء الدورة الـ 35 من «مهرجان القاهرة السينمائي الدولي» للعام الثاني على التوالي، وخصوصاً أنه حتى الساعة، لم يجر اختيار إدارة تنظّم هذا اللقاء السنوي المقرر في تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. برزت تلك المخاوف عندما لغت محكمة القضاء الإداري قرار وزارة الثقافة المصرية القاضي بإسناد مهمة التنظيم إلى «مؤسسة مهرجان القاهرة» التي يرأسها الناقد يوسف شريف رزق الله. وجاء قرار المحكمة بعد دعوى رفعها رئيس «الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما» السيناريست

ممدوح الليثي، محتجاً على قيام الوزارة بإسناد المهمة إلى «مؤسسة مهرجان القاهرة» بدلاً من جمعيتها. هكذا، جاء الحكم ليعيد إسناد المهمة إلى الجمعيات المتخصصة وفقاً لشروط ومعايير شفافة ومعلنة سابقاً من دون أن يسميها. وقالت المحكمة إن الجمعية التي يمثلها يوسف شريف رزق الله لم تكن تستوفي الشروط التي وضعها مجلس إدارة «المركز القومي للسينما»، إذ كانت في ذلك الوقت جمعية تحت التأسيس وغير مرخصة، وهو ما عدّه الليثي مخالفة قانونية. وبناءً عليه، صدر قرار المحكمة بسحب عملية تنظيم الفعالية السينمائية من جمعية يوسف شريف رزق الله. المحكمة

نفسها رفضت ما ساقه صاحب الدعوى ممدوح الليثي عن أن جمعيتها هي الأولى بإدارة المهرجان، على اعتبارها الجمعية التي أسستة عام 1976، ونظمت لسنوات طويلة قبل أن تتولى وزارة الثقافة تنظيمه عام 1985. بعد هذا الحكم، كثرت الشائعات حول إلغاء دورة هذا العام من المهرجان، بسبب غياب منظم له، مع أنّ وزارة الثقافة أكدت «أن قرار المحكمة لا يعني إلغاء الدورة الـ 35 من المهرجان، بل جرى تكليف مجلس إدارة «المركز القومي للسينما» بوضع القواعد الخاصة بمهمة إدارة المهرجان إلى جمعيات أهلية تتوافر فيها الشروط المطلوبة». وفي مؤتمر صحافي عقده أخيراً نيابة عن وزارة الثقافة، قال رئيس «المركز القومي



رائي ممدوح الليثي أنه الأول بتنظيم هذا الموعد السنوي



أحداث «ثورة 25 يناير». ويرى عدد من النقاد والمهتمين بالفن السابع، منهم سمير فريد، أنّ الحل الوحيد الذي يخدم المصلحة العامة الآن يتمثل في اكتفاء «جمعية كتاب ونقاد السينما» بإقامة «مهرجان الإسكندرية»، وبذل الجهود الكافية لإنجاحه وتغيير سمعته السيئة، ريثما تتقدم «مؤسسة مهرجان القاهرة» مجدداً بطلب إلى وزارة الثقافة لإسناد إدارة المهرجان إليها. بعد اجتياح المهرجانات الخليجية الساحة وفوزها بالعروض الأولى للأفلام، واستقطاب النجوم العالميين والمصريين، ها هو «مهرجان القاهرة» يواجه اليوم أزمة مصير بعد كل هذه العواصف التي تعرّض لها في السنوات الأخيرة.

للسينما» المخرج مجدي أحمد علي إن الوزارة لن تتوانى عن العمل على إقامة المهرجان في مواعده للحفاظ على سمعة مصر الدولية على المستوى الثقافي»، مضيفاً إن «إلغاء المهرجان قد يؤدي إلى سحب الاعتراف الدولي به بسبب عدم إقامته للعام الثاني على التوالي»، علماً أنّه غاب العام الماضي بسبب